العمليات التي جرّبوها بأنفسهم والتي ليس لها مظهر خارجي محسوس. وبعد أن أصبحت لديهم أسماء معروفة ومتفق عليها للدلالة على تلك العمليات الداخلية التي تدركها عقولهم، أصبحوا جاهزين بما فيه الكفاية لاستخدام المفردات للتعريف بجميع الأفكار الأخرى التي لديهم. طالما أنها لا تحتوي على أكثر من مفاهيم محسوسة وظاهرة أو عمليات داخلية تدور في أذهانهم حول تلك المفاهيم.

(المقالة: الكتاب الثالث، الفصل الأول، الجزء الخامس)

ما مغزى النص في أعلاه؟ يبدو أن لوك يقترح أن مسمّيات الأفكار البسيطة المتعلقة بالتأمّل (والأفكار الأخرى التي لا تقع ضمن إدراكنا الحسي) هي في الحقيقة استعارات وقد استُعيرت في الأصل من استخدامها الحرفي على أنها مسمّيات لأفكار تتعلّق بالإحساس. وهذا بالتأكيد ما اعتقده الكثيرون من أتباع لوك في القرن الثامن عشر أن لوك يعنيه. ونتيجة لذلك، يُعدّ هذا النص من أكثر النصوص تداولاً وهو مأخوذ من الكتاب الثالث في القرن الثامن عشر. وإذا فُهم هذا النص حرفياً، فإنه قد يلمّح إلى أن الغالبية العظمى من المفردات هي استعارات في الأصل (إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن أقليّة ضئيلة من المفردات يمكن أن تكون مسمّيات لأفكار بسيطة تتعلّق بالإحساس). وهذا بدوره قد أوحى للكثيرين بأننا بمساعدة علم أصول المفردات نستطيع أن نستنبط المعنى الأصلي (أو المعنى الحقيقي كما عند هورن توك) لتلك المفردات التي لا تدلّ على الأفكار البسيطة المتعلّقة بالإحساس. ويمكن عرض بنية المفردات (وكذلك الأفكار التي تدلّ عليها تلك المفردات) كونها عملية توسّع استعارية من مجمل المفردات الأصلية التي تدلّ على مسمّيات الأفكار البسيطة المتعلّقة بالإحساس. والنزعة القويّة إلى تجديد الاهتمام بالاستعارة والمجاز في القرن الثامن عشر هي في جزء

لكي نختبر أنفسنا فيها، كما هي الحال بالنسبة للأفكار البسيطة التي تتعلق بالإحساس. ومع ذلك قد يبدو الأمر أن الأنماط المختلطة وهي الأفكار التي تُعدّ تهديداً كبيراً للقواسم المشتركة للفهم تشمل ضمن مكوّناتها أفكاراً بسيطة كتلك التي تتعلق بالتأمل.

وتوضّح العبارة المقتبسة الآتية إدراك لوك للمشكلة والحل المقترح لعلاجها:

قد يقودنا ذلك قليلاً نحو ما هو أصيل في أفكارنا ومعرفتنا إذا لاحظنا الحد الكبير الذي تعتمد فيه المفردات لدينا على الأفكار التي تتعلّق بالحس العام. وكيف أن تلك المفردات التي نستفيد منها للدلالة على الأفعال والأفكار قد تكون بعيدة عن المعنى وأنها تبدأ من بعض الأفكار المفهومة التي تتحوّل إلى دلالات يصعب فهمها. ونستخدم تلك المفردات للدلالة على الأفكار التي لا تأتي ضمن إدراكنا الحسّي. مثلاً عندما نتصوّر أو ندرك أو نفهم أو نلتزم أو نستوعب أو نرسّخ أو نتمثّل وكذلك فكرة الإزعاج وفكرة الهدوء هذه كلّها مفردات مأخوذة من العمليات التي تتعلّق بالأمور المحسوسة وتطبّق في أنماط معيّنة من التفكير. فمثلاً كلمة «الروح» في دلالتها الأولية تعني النفس. والملاك يعني الرسول. وليس لدي أدنى شك أننا إذا أرجعنا هذه المفردات إلى أصولها سوف نجد في جميع اللغات الكلمات التي تدلّ على الأشياء التي لا تقع ضمن حواسنا. ولكن نشأتها الأولى كانت ضمن الأفكار المحسوسة. وقد نلجأ إلى التخمين لكي نعرف نوع الأفكار تلك ومن أين استُحدثت وكيف ترسّخت في أذهان الأوائل الذين بدءوا استخدام اللغة وكيف أن الطبيعة عند إطلاق الأسماء على الأشياء أوحت إلى الإنسان على حين غفلة أصول ومبادئ جميع المعارف، بينما يعني إطلاق التسميات